لقد ذكرتك والرمح الخطي يقعقع ... أمواجه والوغى يسعى على نفس
في ليلة اشتبكت حلبات ظلمتها ... وغاب كوكبها عن أعين البشر
وأنا تحت وفوق الحزن والكدر ... والبرق يبتدر أسيافا من الشرر
والغل في وسط الماء يحتها ... عيسا وقد طبقت ثقلا على شفر
والروح من حزن جيد ومرتد ... صدر ري فيالك من هدى بلا صدر
هدى وتحمل لا يبقى في محله ... وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وكلفت أنا وعمر من شعابه نظم شيء في المعنى فقلت

ولقد ذكرتك بحرب يثني ... عن بأسها الليث الهزبر الأغلب
والضاربات بركضها قد ثقلت ... ليلا وكل سماء ليل كوكب
والبيض تنثر كالنظم الفتات ... والنبل يشكلها الهجاج بزرب
وجنانة الأبطال قد بلغت لها ... ودم العوالي مستهل صيب
والنقع قد ثالت على جيد الظبا ... وأنا بين كرك أميل وأطرب

رجع إلى بيان القصيدة الطغرائية

حب السلامة يثني همة صاحبه ... عن العلا وهو يرمي المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا ... في الأرض تبغي به نفقا في الجو فاعتزل
ودع عمان العلى للمقدمين على ... كورها واقتنع منهن بالبهل

قوله يثني أي يعطف يقال ثنى الحبل والثوب يثنيه يعطفه ولهذا هنا العزم همة بالأمر فهم به بفتح المضارع وتيانه الكسر قصده وعزم عليه ويعزي يقع وعزيمة وأن لا همة أي يلزمه ذلك وأهل الأمر إطلاق الشيء بالشيء ومنه فاعزيا بهم وجنحت أي مالت فيما الجنح إليه أي مال يجنح مثل المضارع كمع ونفس وضرب ومنه وإن جنحوا للسلم فاجنح لها والسلم الصلح والنفق بفتح الشق في الأرض المدور فإن كان مستطيلا فهي سرب بالجيم كما أيضا ومنه فإن استطعت أن تبتغي نفقا والهمان بكسر الهاء المحبوب مع غرور وجهان وأصلها الماء الكثير الذي يعم ما فيه أي يستره ويوارى به ثم قيل لكل مستتر عن الفكرة عنه ومنه في غرائر الموت والعدم على الأمن الداخل فيه بخزاية وضعة الإقدام

الانجام

الانجام بتقديم الحاء والمعنى أن الجاه والمال في الدنيا لا يحتمل الأمع المخاطرة بالنفس فإن بلغت الحب السلامة فالأولى بك أن تعتزل الناس والاقتناع بالقليل منهما مع الخمول ولا يخفى ما في هذه الأبيات من الحث على طلب المعالي الدنيوية ولو بارتكاب الأهوال منها وذم العجز والتجبر على الكسالى عنها وخطابه فيها يحتمل أن يكون لصاحبه الذي عرض عليه المرافقة إلى الحج تنشيطا له وتشجيعا للغلبة وأن يكون خطابا لنفسه وهو الذي تنبه أهل البلاغة التجريد كما سيأتي في قوله يا وارثا دار أمنيات عيش كله كدر ولابن نباتة السعدي رحمه الله تعالى الحث على طلب العلا

لجأ الله سلاك الفؤاد من الذي ... إذا امكنته فرصة لا يستفز
يلاحظها حتى يلوح طلابها ... ويصبح في أوبارها يتدفن
ولعصمهم
يقول لكل الكتب العالي ... ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام عنه ... تعوض البحر من طلب اللآلي

وما حبب عليه الناظم من العلى هو الجاه الدنيوي وحقيقته استمالة قلوب العباد بالملك والملك والرغبة والرهبة ونفوذ الأمر إذا بلا استقبلا والقهر مع العدل والإحسان وكسب الحمد والثناء وذلك هو الذي يخالج الناظم وإنما له كنى الله تعالى وأركان ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند تلك النفوس ولهذا وقعهم هذا الطلب في القلب ولم يحمدوا عواقبه المنقلب ولله در العامل

هذه الدنيا وهبت لنا ... أنف الناس لها أعوانها
وذوو الأحلام قالوا لها ... حلم يعني بها يقضانها

انتهى فعل تفضيل مخاطبا الناس والأحلام العقول ويعني بحمين وقد نبه الله تعالى تلك الدار الآخرة بجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا أو الظاهر للمتنبي ولهذا الشأن ما جاء البيتان بالخمول وطلبوا السلامة التي زعم الطغرائي أن حبها يثني همم عزم المرء عن العلا في الدنيا وأجاب الدنيا على الآخرة وقنعوا من جاه الدنيا بالبلغ القليل وصاموا عن الدنيا حتى أفطروا على الآخرة في الملك الكبير والنعيم المقيم كما قيل

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

هذا مع أن الثقل معنى بالخمول مع السلامة أولى من الجاه مع الهلاك لما في الخمول من راحة القلب والبدن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)